

جهود المغاربة في الدفاع عن رسول الله ﷺ

إعداد

د. سعيد المغناوي

أستاذ السيرة النبوية وعلوم الحديث بكلية الآداب سايس - فاس

جامعة سيدي محمد بن عبد الله - المملكة المغربية



من أبحاث المؤتمر الدولي
نبي الرحمة محمد ﷺ

المنعقد في الفترة ٢٣ – ٢٥ شوال ١٤٣١هـ الموافق ٢ – ٤ أكتوبر 2010م

برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز – حفظه الله–

والذي نظمته

الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها (سنن)



www.sunnah.org.sa



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وحبيبنا ومولانا محمد المصطفى الأمين، الهادي إلى صراط الله العزيز الحكيم، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر المحجلين، الكرام الميامين، الأبطال المجاهدين، وبعد:

لقد تعرّض رسول الله ﷺ لإساءات كثيرة في حياته، وأوذي بكل وسيلة وبشتى أنواع الإذاية؛ ومع ذلك، فقد ظل صلوات الله وسلامه عليه صابرا محتسبا، يؤدي الأمانة ويبلّغ الرسالة، وينصح الخاصة والعامة.

وأول من ألحق الأذى برسول الله ﷺ هم المشركون، ثم اليهود والمنافقون.

فقد اتهمه كفار قريش بشتى المعايب، فقالوا: مجنون، ومعلم، وبه جنة، وقالوا شاعر وساحر وكاهن ومسحور وأبتر وكذاب ومفتر، وافترى على الله كذبا. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في آيات كثيرة، منها:

- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾[1].

---

(1) الدخان/ ١٤.

– وقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٌ ﴾[1].

– وقوله تعالى: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢ ﴾[2].

– وقوله تعالى: ﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٌ ﴾[3].

– وقوله تعالى: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ﴾[4].

– وقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ﴾[5].

– وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴾[6].

– وقوله تعالى: ﴿ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴾[7].

---

(١) القلم/ ٥١.
(٢) المؤمنون/ ٧٠.
(٣) الأنبياء/ ٥.
(٤) الطور/ ٣٠.
(٥) يونس/ ٢.
(٦) ص/ ٤.
(٧) الإسراء/ ٤٧.



- وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾(1).

- وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ﴾(2).

- وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ﴾(3).

وقد نفى الله ﷻ عنه كل ذلك، وبرّأه مما قالوا:

- قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾(4).

- وقال تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾(5).

- وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾(6).

- وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾(7).

---

(1) الشورى/ ٢٤.
(2) النحل/ ١٠١.
(3) النحل/ ١١٣.
(4) الطور/ ٢٩.
(5) القلم/ ٢.
(6) الأعراف/ ١٨٤.
(7) الحاقة/ ٤٠-٤٢.

- وقال تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾[1].

- وقال تعالى: ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[2].

إضافة إلى هذا كله، فقد صرف الله عنه شتم قريش ولعنهم:

- فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم؟ يشتمون مذمّما، ويلعنون مذمّما، وأنا محمد**»[3].

كذلك قيّض الله له من البشر من يذود عنه، مثل عمه أبي طالب الذي كان يمنعه من أذى قريش، على الرغم من أنه كان مشركا على دين آبائه. وخير دليل على ذلك ما نقله ابن هشام في سيرته عن ابن إسحاق أنه قال: فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ لا يُعْتبهم[4] من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم،

(١) الأنعام/ ١٤٧.

(٢) النحل/ ١٠١-١٠٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب٦١ (المناقب)، باب١٧ (ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ...)، حديث٣٥٣٣.

(٤) لا يُعْتبهم من شيء: أي لا يُرضيهم.



ورأوا أن عمه أبا طالب قد حَدِب عليه وقام دونه فلم يُسْلمه لهم، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سبّ آلهتنا وعاب ديننا وسفّه أحلامنا وضلّل آباءنا، فإما أن تكفّه عنّا وإما أن تخلّي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكفيكه. فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا وردّهم ردّا جميلا، فانصرفوا عنه. ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى، فقالوا له: يا أبا طالب، إن لك سنّا وشرفا ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنْهه عنّا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا، حتى تكفّه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين. فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، ولم يَطِبْ نفسا بتسليم رسول الله لهم ولا خِذْلانه. فبعث إليه فقال له: يا ابن أخي، إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا، فأَبْقِ عليّ وعلى نفسك ولا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق. فظنّ رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بَدَاء[1] أنه خاذله ومُسلّمه، وأنه قد ضعُف عن نصرته والقيام معه، فقال: يا عمّ، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله أو أهلك فيه، ما تركته. ثم استعْبَر رسول الله ﷺ، فبكى ثم قام؛ فلما ولى ناداه أبو طالب،

---

(١) بدا لعمه فيه بداء: أي ظهر له رأي.

فقال: أقْبل يا ابن أخي. فأقبل عليه رسول الله ﷺ، فقال: اذهب يا ابـن أخـي، فقل ما أحببتَ، فوالله لا أُسْلمك لشيء أبداً(1).

ومما تجدر الإشارة إليه أيضا، هو أن الله ﷻ قد تولى بنفسه الرد على أعدائه في أغلب الأحيان:

- فقال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾(2)، لما حسدته اليهود على ما رزقه الله من النبوة العظيمة.

- وقال تعالى: ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴾(3)، لما قالوا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾(4).

- وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾(5)، لما قالوا: ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ

(1) السيرة النبوية، ابن هشام، 1/ 264-266.

(2) النساء/ 54.

(3) الحجر/ 8.

(4) الحجر/ 6-7.

(5) الفرقان/ 20 .



وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾(١).

– وقال تعالى: ﴿**بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ**﴾(٢)، لما قالوا: ﴿**هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ۝٧ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ**﴾(٣).

– وقال تعالى: ﴿**وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ**﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿**إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ**﴾(٥)، لما قالوا شاعر وكاهن.

– وقال تعالى: ﴿**بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ**﴾(٦)، لما قالوا: ﴿**أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ**﴾(٧).

---

(١) الفرقان/ ٧ .

(٢) سبأ/ ٨ .

(٣) سبأ/ ٧-٨.

(٤) يس/ ٦٩ .

(٥) الحاقة/ ٤٠-٤٢.

(٦) الصافات/ ٣٧ .

(٧) الصافات/ ٣٦ .

- وقال تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾[1]، لما اتهموه بالضلال والغي.

- وقال تعالى: ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ **وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ**﴾[3]، لما اتهموه بالجنون.

- وقال تعالى: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾[4]، لما قالوا تركه شيطانه وأبطأه صاحبه.

- وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾[5]، لما نعتوه بالأبتر.

ولم تقف عناية الله برسوله ﷺ عند هذا الحد، بل امتدت إلى الحيلولة دون قتله أو إلحاق الأذى الشديد بجسده، ومن ثم فقد عصمه سبحانه وتعالى من شر أعدائه وحفظه من أفعالهم السيئة ومخططاتم الخبيثة:

- فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**قال أبو جهل: هل يُعفّر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم. فقال: واللات والعزى، لئن رأيته يفعل ذلك لأطأنّ**

(١) النجم/ ٢ .

(٢) القلم/ ٢ .

(٣) التكوير/ ٢٢ .

(٤) الضحى/ ٣.

(٥) الكوثر/ ٣.



على رقبته، أو لأعفّرنّ وجهه في التراب. قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته. قال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتّقي بيديه. قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إنّ بيني وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة. فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني، لاختطفته الملائكة عضوا عضوا»[1].

- وذكر ابن إسحاق[2] عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رهطا من كبراء قريش اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، ثم قال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلّموه وخاصموه حتى تعذروا فيه، فبعثوا إليه فجاءهم سريعا، فعرضوا عليه ما عرضوا وسألوه لأنفسهم أمورا، فلما قام عنهم رسول الله ﷺ، قال أبو جهل: يا معشر قريش، إن محمدا قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وشتم آلهتنا، وإني أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر ما أطيق حمله، فإذا سجد في صلاته فَضَخْتُ به رأسه، فأسْلِموني عند ذلك أو امنعوني، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم؛ قالوا: والله لا نُسْلمك لشيء أبدا، فامض لما تريد. فلما أصبح أبو جهل، أخذ حجرا كما وصف، ثم

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب (صفة القيامة والجنة والنار)، باب٦ (قوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾)، حديث٢٧٩٧.

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام، ١/ ٢٩٥-٢٩٩.

جلس لرسول الله ﷺ ينتظره. وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو، وجعل الكعبة بينه وبين الشام وقام يصلي وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل. فلما سجد رسول الله ﷺ، احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه، حتى إذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا قد يبِست يداه على حجره، حتى قذف الحجر من يده، وقامت إليه رجال قريش فقالوا له: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: قمتُ إليه لأفعل به ما قلتُ لكم البارحة، فلما دنوتُ منه عرض لي دونه فحل من الإبل، لا والله ما رأيت مثل هامته ولا مثل قَصَرته[1] ولا أنيابه لفحل قط، فهمّ بي أن يأكلني.

- أما يهود بني النضير فقد أرادوا أن يلقوا على رأس رسول الله ﷺ الرحى لما جاءهم يستعينهم في دية العامريين، فأطلعه الله ﷻ على ما تمالؤوا عليه، وكفّ أيديهم عنه. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[2].

- وأما المنافقون فمن بين ما عانى منهم الرسول ﷺ، أنهم كانوا يحلفون

(١) القصرة: أصل العنق.

(٢) المائدة/ ١١.



له بالله ما قالوا الذي بلغه عنهم من السب والشتم، وهمّوا بقتله ليلة العقبة عند عوده من تبوك، فنجّاه الله منهم. قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ ۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[١].

هذا، ومن أجل أن يسلك المسلمون نفس السبيل، ومن أجل أن يدافعوا عن رسول الله ﷺ بكل غال ونفيس، بيّن الله لهم أن طريق الفلاح هو في الإيمان برسوله، وفي تعزيره ونصره، وفي اتباع النور الذي أنزل معه؛ فقال تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[٢].

وقد امتثل الصحابة والتابعون – رجالا ونساء – لهذا الإرشاد الإلهي، فنافحوا عن رسول الله ﷺ بما أوتوا من عزيمة وقوة وإيمان قوي.

– فعن المسور بن مخرمة ومروان – يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه – أن عروة بن مسعود قال لقريش: دعوني آتيه، قالوا: ائته، فأتاه وجعل يكلّم

(١) التوبة/ ٧٤ .

(٢) الأعراف/ ١٥٧ .

النبي ﷺ، فكلما تكلم أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المِغْفَر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية رسول الله ﷺ، ضرب يده بنَعْل السيف وقال له: أخّر يدك عن لحية رسول الله ﷺ»[1].

- وعن عروة بن الزبير قال: «**قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ، قال: بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله ﷺ وقال: «أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم»**»[2].

- وعن مسروق قال: «**دخلتُ على عائشة وعندها حسان بن ثابت يُنشدها شعرا، يُشبّب بأبيات له، فقال:**

حَصانٌ رَزان ما تُزَنّ بريبة * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فقالت له عائشة: لكنك لستَ كذلك. قال مسروق: فقلت لها: لم تأذنين له يدخل عليك؟ وقد قال الله: «والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم»، فقالت:

(١) انظر النص الكامل لهذا الحديث في صحيح البخاري: كتاب٥٤ (الشروط)، باب١٥ (الشروط في الجهاد...)، حديث٢٧٣١-٢٧٣٢.

(٢) صحيح البخاري: كتاب٦٥ (تفسير القرآن/ سورة المؤمن)، حديث٤٨١٥.

فأي عذاب أشد من العمى؟ إنه كان يُنافح أو يُهاجي عن رسول الله ﷺ»[1].

- وعن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: «**بينا أنا واقف في الصف يوم بدر، نظرت عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما، تمنّيت لو كنت بين أضلع منهما. فغمزني أحدهما فقال: يا عمّ، هل تعرف أبا جهل؟ قال: قلت: نعم، وما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: أُخبرتُ أنه يسبّ رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يُفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منّا. قال: فتعجّبت لذلك، فغمزني الآخر فقال مثلها. قال: فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يزول في الناس، فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه. قال: فابتدراه، فضرباه بسيفيهما حتى قتلاه...**»[2].

- وأخرج أبو داود في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما، «**أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي ﷺ وتقع فيه، فينهاها فلا تنتهي، ويزجرها فلا تنزجر. قال: فلما كانت ذات ليلة، جعلت تقع في النبي ﷺ وتشتمه، فأخذ المغْول فوضعه في بطنها**

---

(١) صحيح مسلم: كتاب٤٤ (فضائل الصحابة)، باب٣٤ (فضائل حسان بن ثابت)، حديث ٢٤٨٨.

(٢) صحيح مسلم: كتاب٣٢ (الجهاد والسير)، باب١٣ (استحقاق القاتل سلب القتيل)، حديث١٧٥٢.

واتكأ عليها فقتلها، فوقع بين رجليها طفل فلطخت ما هناك بالدم. فلما أصبح، ذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فجمع الناس فقال: «أنشد الله رجلا فعل ما فعل، لي عليه حق، إلا قام». فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتزلزل، حتى قعد بين يدي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أنا صاحبها، كانت تشتمك وتقع فيك، فأنهاها فلا تنتهي وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، وكانت بي رفيقة. فلما كان البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك، فأخذت المغول فوضعته في بطنها واتكأتُ عليها حتى قتلتها. فقال النبي ﷺ: «ألا اشهدوا أن دمها هَدر»[1].

- وروى الواقدي في مغازيه عن إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال: قال مروان بن الحكم[2] (ت ٦٥هـ) وهو على المدينة، وعنده ابن يامين النضري: كيف كان قتل ابن الأشرف[3]؟ قال ابن يامين: كان غدرا. ومحمد بن

(١) سنن أبي دود: كتاب٣٢ (الحدود)، باب٢ (الحكم فيمن سبّ النبي ﷺ) حديث٤٣٦١.

(٢) أقام مروان بن الحكم بالمدينة بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، وظل على ذلك حتى آلت الخلافة إلى معاوية رضي الله عنه فولاه المدينة مرتين. ولما مات معاوية قرّبه ابنه يزيد إليه وأكرمه، فظل بالشام إلى أن وُلي الخلافة بعد معاوية الثاني بن يزيد. انظر: تاريخ الإسلام لحسن إبراهيم حسن، ١/ ٢٣٦.

(٣) هو كعب بن الأشرف اليهودي؛ كان رجلا من طيء، وكانت أمه من بني النضير، وكان يؤذي رسول الله ﷺ والمؤمنين، ويُشبّب في أشعاره بنساء المؤمنين. وقد ذهب بعد وقعة=

مسلمة[1] جالس شيخ كبير، فقال: يا مروان، أيغدر رسـول الله عنـدك؟ والله مـا قتلناه إلا بأمر رسول الله ﷺ، والله لا يؤويني وإياك سـقف بيـت إلا المسـجد. وأما أنت يا ابن يامين، فلله عليّ إن أفلتَّ، وقـدرت عليـك وفي يـدي سـيف إلا ضربت به رأسك. فكان ابن يامين لا ينزل في بني قريظة حتى يبعث لـه رسـولا ينظر محمد بن مسلمة، فإن كان في بعض ضياعه نزل فقضى حاجتـه ثـم صـدر، وإلا لم ينزل. فبينما محمد بن مسلمة في جنازة وابن يامين بالبقيع، فرأى نعشا عليه جرائد رطبة لامرأة، جاء فحلّه. فقام الناس فقالوا: يا أبا عبد الرحمن، ما تصنع؟ نحن نكفيك. فقام إليه، فلم يزل يضربـه بهـا جريـدة جريـدة حتـى كسر تلـك الجرائد على وجهه ورأسه، حتى لم يترك فيه مَصَحّا، ثم أرسله ولا طَبَـاخ (قـوة) به، ثم قال: والله لو قدرت على السيف لضربتك به[2].

=بدر إلى مكة، وألّب على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين. فندب رسول الله ﷺ المسـلمين إلى قتله فقتلوه. انظر: الفصول في سيرة الرسول ﷺ لابـن كثـير، ص١٤٣؛ وسـيرة ابـن هشام، ٢/ ٥١-٥٨.

(١) محمد بن مسلمة رضي الله عنه: أحـد الصـحابة الكـرام الـذين بعـثهم رسـول الله ﷺ لقتـل ابـن الأشرف اليهودي. انظر: سيرة ابن هشام، ٢/ ٥٦.

(٢) وردت هذه القصة في [مغازي الواقدي، ١/ ١٩٢-١٩٣]، وفي رواية ثانية تشابهها قيل أنها وقعت في مجلس علي بن أبي طالب، وفي رواية ثالثة أنها وقعت في مجلس معاوية رضي الله عنه. ذكر=

قال ابن تيمية رحمه الله في تعليقه على هذه القصة: «وظاهر القصة، أن محمد ابن مسلمة رآه مخطئا بترك الحد على ذلك الرجل، ولذلك هجره. لكن هذا الرجل إنما كان مسلما، فإن المدينة لم يكن بها يومئذ أحد من غير المسلمين»[1].

***

هذا، وقد سار على نهج الصحابة والتابعين، من جاء بعدهم من المؤمنين برسالة النبي ﷺ في المشرق والمغرب.

والأمثلة على ذلك كثيرة، روتها لنا كتب السير والتواريخ، وكتب الجدل والمناظرة وعلم الكلام، وغيرها من مؤلفات المسلمين.

ففي المشرق الإسلامي – مثلا – أُلفت عدة كتب في الرد على من سبّ النبي ﷺ وفي العقاب الواجب في حقه، منها:

١) **الصارم المسلول على شاتم الرسول** ﷺ، لشيخ الإسلام أحمد بن

=ذلك القرطبي في تفسيره (٨/ ٥٣)، فقال: «ورُوي أن رجلا قال في مجلس علي: ما قُتل كعب بن الأشرف إلا غدرا، فأمر علي بضرب عنقه. وقالها آخر في مجلس معاوية رضي الله عنه، فقام محمد بن مسلمة فقال: أيقال هذا في مجلسك وتسكت، والله لا أساكنك تحت سقف أبدا، ولئن خلوت به لأقتلنّه».

(١) الصارم المسلول، ابن تيمية، ص٢٠٤.



عبدالحليم ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ). وهو من أعظم ما أُلف في الدفاع عن رسول الله ﷺ في المشرق الإسلامي. وقد قسمه صاحبه إلى أربع مسائل(١):

- **المسألة الأولى**: في بيان الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع والقياس على كفر من سبّ الرسول ﷺ، ومشروعية قتله سواء كان مسلما أو كافرا.

- **المسألة الثانية**: في تعيّن قتل الساب وإن كان ذميا، وأنه يُنتقض عهده بالسب ولا يجوز مفاداته ولا استرقاقه ولا المنّ عليه، أي ليس حكمه كحكم سائر الكفار.

- **المسألة الثالثة**: في حكم الساب إذا تاب. وقد بيّن فيها ابن تيمية رحمه الله أنه يجب قتله بلا استتابة؛ لأن ردته مغلّظة تضمنت محاربة لله ولرسوله. وهكذا الشأن في كل مرتد تضمنت ردته عداوة ومحادة ومشاقة ومحاربة لله ولرسوله فإنه يُقتل وإن تاب، وذلك قبل القدرة عليه.

- **المسألةالرابعة**: في الفرق بين السب ومجرد الكفر. وقد بيّن فيها أن الإيمان ليس تصديقا فقط، وإنما هو تصديق بالخبر وانقياد للأمر، وأن الإيمان يقتضي ويستلزم المحبة والتعظيم وهما من عمل القلب. فلا يكون الكفر مجرد التكذيب

(١) تقريب الصارم المسلول عل شاتم الرسول، صلاح الصاوي، ص٥.

فحسب، وإنما يكون أيضا بترك الانقياد والاستسلام، ويكون التنقّص والاستهانة بالدين أو الرسول ﷺ دليلا على كفرٍ في الباطن، لانتفاء المحبة والتعظيم.

وعن سبب تأليف هذا الكتاب، قال ابن كثير في (البداية والنهاية)[1] عند حديثه عن أخبار سنة ٦٩٣هـ: أن عسافا النصراني كان رجلا من أهل السويداء، وقد شهد عليه جماعة أنه سبّ النبي ﷺ، واستجار بابن أحمد بن حِجّي أمير آل علي. فاجتمع الشيخ تقي الدين ابن تيمية والشيخ زين الدين الفارقيّ شيخ دار الحديث، ودخلا على الأمير عز الدين أيبك الحموي نائب السلطنة فكلّماه في أمره، فأجابهما إلى ذلك وأرسل ليُحضره، فخرجا من عنده ومعهما خلق كثير من الناس. فرأى الناس عسافا حين قدم ومعه رجل من العرب، فسبّوه وشتموه، فقال ذلك الرجل البدوي: هو خير منكم، يعني النصراني. فرجمها الناس بالحجارة فأصابت عسافا، ووقعت خَبْطة قوية، فأرسل النائب فطلب الشيخين ابن تيمية والفارقيّ فضربهما بين يديه ورسم عليهما في العذْراوية. وقدم النصراني فأسلم، وعُقد مجلس بسببه فأثْبَت بينه وبين الشهود عداوةً فحقَن دمَه، ثم استدعى بالشيخين فأرضاهما وأطلقهما. ولحق النصراني بعد ذلك ببلاد الحجاز، واتّفق قتله قريبا من مدينة رسول الله ﷺ، قتله ابن أخيه هنالك. وصنّف الشيخ تقي الدين ابن تيمية في

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ١٧/ ٦٦٥-٦٦٦.

هذه الواقعة كتابه (الصارم المسلول على ساب الرسول).

٢) **السيف المسلول على من سب الرسول** ﷺ[١]، لتقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٥٦هـ). رتبه على أربعة أبواب:

- **الأول**: في حكم الساب من المسلمين.
- **الثاني**: في حكم الساب من أهل الذمة.
- **الثالث**: في بيان ما هو السب.
- **الرابع**: في شيء من شرف المصطفى ﷺ.

وقد فرغ من تصنيفه في سلخ شهر رمضان سنة ٧٣٤هـ.

٣) **السيف المشهور على الزنديق وشاتم الرسول**[٢]، لمحيي الدين محمد بن قاسم الرومي الحنفي، المعروف بأخوين (ت٩٠٤هـ). وهو كتاب مشتمل على عدة فصول، كتبه لبيان استحقاق مولانا لطفي للقتل، وذكر في آخره أمورا موجبة له ثابتة منه.

٤) **تنزيه الأنبياء عن تسفيه الأغبياء**[٣]، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر

(١) كشف الظنون، حاجي خليفة، ٢/ ١٠١٨ .

(٢) كشف الظنون، حاجي خليفة، ٢/ ١٠١٩ .

(٣) كشف الظنون، حاجي خليفة، ١/ ٤٩٤ .

السيوطي (ت ٩١١هـ). وهي رسالة مطبوعة ضمن كتابه (الحاوي للفتاوي)، وكان السبب في تأليفه كما قال: «أنه وقع أن رجلا خاصم رجلا فوقع بينهما سب كثير، فقذف أحدهما عرض الآخر فنسبه الآخر إلى رعي المعزى. فقال له ذاك: تنسبني إلى رعى المعزى. فقال له والد القائل الأنبياء: رعوا المعزى، أو ما من نبي إلا رعى المعزة. وذلك بسوق الغزل بجوار الجامع الطولوني بحضرة جمع كثير من العوام، فترافعوا إلى الحكام فبلغ الخبر قاضي القضاة المالكي فقال: لو رُفع إلي ضربته بالسياط. فسئلتُ: ماذا يلزم الذي ذكر الأنبياء مستدلا بهم في هذا المقام؟ فأجبت بأن هذا المستدل يعزر التعزير البليغ؛ لأن مقام الأنبياء أجل من أن يضرب مثلا لآحاد الناس. ولم أكن عرفت من هو القائل لذلك، فبلغني بعد ذلك أنه الشيخ شمس الدين الحمصاني إمام الجامع الطولوني وشيخ القراء، وهو رجل صالح في اعتقاده. فقلت: مثل هذا الرجل تقال عثرته وتغفر زلته ولا يعزر لهفوة صدرت منه، وكتبت ثانيا بذلك فبلغني أن رجلا استنكر مني هذا الكلام، وقال: إن هذا القائل لا ينسب إليه في ذلك عثرة ولا ملام وإن ذلك من المباح المطلق لا ذنب فيه ولا أثام، واستفتى على ذلك من لم تبلغه واقعة الحال، فخرجوه على ما ذكره القاضي عياض في مذاكرة العلم لأجل ذكر لفظ الاستدلال في الجواب والسؤال، فخشيت أن تشرب قلوب العوام هذا الكلام

فيكثروا من استعماله في المجادلات والخصام ويتصرفوا فيه بأنواع من عباراتهم الفاسدة فيؤديهم إلى أن يمرقوا من دين الإسلام، فوضعت هذه الكراسة نصحا للدين وإرشادا للمسلمين والسلام»[1].

٥) **رسالة في سب النبي ﷺ وأحكامه**[2]، للمولى حسام الدين حسين بن عبد الرحمن (ت٩٢٦). جعلها على ثلاثة أقسام:

- **الأول**: فيما يكون سبا وما لا يكون سباً.
- **الثاني**: في حكم الساب.
- **الثالث**: في حكمه من الكافرين.

٦) **رشق السهام في أضلاع من سب النبي** عليه السلام، لشمس الدين محمد بن علي الدمشقي الصالحي الحنفي الشهير بابن طولون (ت٩٥٣هـ). وقد ذكره في كتابه (الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون)[3].

٧) **تنبيه الولاة والحكام على أحكام شاتم خير الأنام أو أحد أصحابه الكرام عليه وعليهم الصلاة والسلام**، لمحمد أمين بن عمر الحنفي الدمشقي

(١) الحاوي للفتاوي، السيوطي، ١/ ٢٣٣ .

(٢) كشف الظنون، حاجي خليفة، ١/ ٨٧١.

(٣) الفلك المشحون، محمد ابن طولون الصالحي، ص٣٧.

الشهير بابن عابدين (١٢٥٢هـ). وهي رسالة[١] في سبع وخمسين صفحة، قال في مقدمتها أن الداعي لتأليفها هو أنه كان ذكر في كتابه (العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية)[٢]، نبذة من أحكام شقيّ لَعِينٍ – لم يسمّه – خلع من عنقه ربقة الدين بسبب استطالته على سيد المرسلين وحبيب رب العالمين. وفي تلك النبذة، مال إلى قبول توبته وعدم قتله إن رجع إلى الإسلام. فلما اطّلع الشيخ عبد الستار أفندي الأتاسي مفتي حمص عليها وترجّح عنده قتل ذلك الشقيّ وإن تاب، أرسل إلى ابن عابدين ما سنح له طالبا منه الجواب لإظهار الحق والصواب ودفع الشك والارتياب. قال ابن عابدين: «فقصدتُ أولا أن أذكر الجواب عمّا طلب على وجه الاختصار كما كتب، ثم لما رأيت تلك المسألة مشكلة معضلة يحار معاليها في فهم معانيها، وكان طلك متوقفا على مقدمات ونقل عبارات يستدعيها المقام، فاقتضى ذلك نوع بسط في الكلام لتوضيح المرام. فإنّي لم أر من أئمتنا الحنفية من أوضح هذه المسألة حق الإيضاح، ولكن إذا غابت الشمس يُستضاء بالمصباح. وأما غير أئمتنا فقد بسطوا فيها الكلام... فتطفّلتُ على موائد

---

(١) مطبوعة ضمن مجموعة رسائل ابن عابدين (انظر: نسختها المصورة إلكترونيا والمتاحة على شبكة الإنترنت).

(٢) انظر: العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية، ١/ ١٧٠-١٧١ .



هؤلاء الكرام، وجمعت كتابي هذا من كلامهم وكلام غيرهم من الأعلام، ورتبته على بابين: (الباب الأول) في حكم ساب سيد الأحباب... وفيه ثلاثة فصول: **أحدها** في وجوب قتله إذا لم يتب، **والثاني** في توبته واستتابته وتحرير مذهب أبي حنيفة في ذلك، **والثالث** في حكم سابّه من أهل الذمة...»[1].

***

أما في الغرب الإسلامي، فقد أُلفت كتب مماثلة لها، أو لا تقل عنها أهمية. بل كان لبعضها قصب السبق في مجال الدفاع عن رسول الله ﷺ، وذلك بشهادة ابن عابدين الدمشقي، الذي قال عند حديثه عن أحكام شاتم النبي عليه الصلاة والسلام: «فإني لم أر من أئمتنا الحنفية من أوضح هذه المسألة حق الإيضاح، ولكن إذا غابت الشمس يُستضاء بالمصباح. وأما غير أئمتنا فقد بسطوا فيها الكلام: فمن المالكية الإمام القاضي عياض في أواخر كتابه الشفاء. ثم تبعه على ذلك من الحنابلة الإمام شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية، ألف فيها كتابا ضخما، سماه (الصارم المسلول على شاتم الرسول)، وقد رأيتُ الآن منه نسخة قديمة عليها خطه رحمه الله. ثم تبعه على ذلك من الشافعية خاتمة

(١) مجموعة رسائل ابن عابدين، ١/ ٣١٥-٣١٦.

المجتهدين تقي الدين أبو الحسن علي السبكي، وألف فيها كتابا سماه (السيف المسلول على من سبّ الرسول). فتطفّلتُ على هؤلاء الكرام، وجمعتُ كتابي هذا من كلامهم وكلام غيرهم من الأعلام...»[1].

ومن أوائل من ألفوا كتبا في الدفاع عن رسول الله ﷺ في الغرب الإسلامي، أبو عبد الله محمد بن عبد السلام سحنون بن سعيد التنوخي القيرواني شيخ المالكية (ت ٢٥٦هـ).

قال فيه ابن فرحون: «كان إماما في الفقه، ثقة عالما بالذب عن مذاهب أهل المدينة، عالما بالآثار، صحيح الكتاب، لم يكن في عصره أحذق بفنون العلم منه. وكان الغالب عليه الفقه والمناظرة، وكان يُحسن الحجة والذب عن أهل السنة والمذهب»[2]. ثم قال: «وكان ابن سحنون إمام عصره في مذهب أهل المدينة بالمغرب، جامعا لخلال قلّما اجتمعت في غيره: من الفقه البارع والعلم بالأثر والجدل والحديث والذب عن مذهب أهل الحجاز...»[3].

وقال فيه إسماعيل بن إسحاق البصري قاضي بغداد (ت ٢٨٢هـ): «هو

(١) مجموعة رسائل ابن عابدين، ص٣١٥ .

(٢) الديباج المذهب، ابن فرحون، ٢/ ١٦٩- ١٧٠ .

(٣) نفسه، ٢/ ١٧١ .



الإمام بن الإمام»[1]. وذكر مرة ما ألّفه العراقيون من الكتب، فقال إسماعيل: عندنا من ألّف في مسائل الجهاد عشرين جزءا، وهو محمد بن سحنون. يفخر بذلك على أهل العراق[2].

وقال فيه ابن الحارث[3]: «كان من الحفاظ المتقدمين المناظرين المتصرفين، وكان كثير الكتب غزير التأليف، له نحو من مائتي كتاب في فنون العلم»[4].

قلت: له رسالة فيمن سبّ النبي ﷺ، اكتفى ابن فرحون بذكرها دون الإشارة إلى مضمونها. ومن المرجح أن يكون قد دافع فيها عن رسول الله ﷺ؛ لأنه كان يُحسن الحُجّة والرد على أهل الأهواء والذب عن السنة والمذهب[5]. ويؤيد هذا الاستنتاج، قول ابن فرحون في (الديباج): أن محمد بن سحنون قد صنّف كتاب الحجة على القدرية، وكتاب الحجة على النصارى. وأنه ألّف في الرد على البكرية، وفي الرد على أهل الشرك، وفي الرد على أهل البدع[6].

---

(١) انظر: الديباج لابن فرحون، ٢/ ١٦٩- ١٧٠ .

(٢) نفسه، ٢/ ١٦٩-١٧٠ .

(٣) لعلّه الإمام محمد بن الحارث الخُشني المالكي (ت ٣٦١هـ).

(٤) انظر: الديباج لابن فرحون، ٢/ ١٦٩- ١٧٠.

(٥) الديباج المذهب، ابن فرحون، ٢/ ١٦٩-١٧٠ .

(٦) الديباج المذهب، ابن فرحون، ٢/ ١٧١ .

ومما يدل أيضا على محبة محمد بن سحنون لرسول الله ﷺ وتجنّده للـدفاع عنه، ما حُكي عن عبد العزيز الزاهد أنه رأى في منامه قـائلا يقـول لـه: مَالَـك لم تُقبل على ابن سحنون، وهـو ممـن يخشـى الله؟ وفي روايـة: وهـو ممـن يُحـبّ الله ورسوله؟ فبلَغَتْ ابن سحنون فبَكى بُكاء شديدا، ثم قال: لعلّه بـذنّبي عـن سـنة رسول الله ﷺ[1].

أما ابن حزم الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، فقد كان من أبرز من اهتموا برسول الله ﷺ ودافعوا عنه في بـلاد الأنـدلس التـي كانـت جامعـة لأتبـاع الـديانات الثلاث، الإسلام واليهودية والنصرانية.

لقد أفرد رحمه الله السيرة النبوية بالتـأليف في كتـاب مختصر جمـع فيـه مـا لا يستغني عنه طلاب هذا العلم، سماه (جوامع السيرة)[2]. ثـم اختصره في رسـالة سماها (جمل من التاريخ)، وألف كتابا خاصا بحجة الوداع[3]. كذلك يبدو تقديره لرسول الله ﷺ عظيما، ومحبته لجنابه الشريف كبيرة، في عدد من كتبه.

ففي كتابه (جمهرة أنساب العرب) ابتـدأ بـذكر نسـب مـن هـم أقـرب إلى

---

(١) انظر: الديباج لابن فرحون، ٢/ ١٧٢ .

(٢) بحوث في السيرة النبوية، سعيد المغناوي، ١/ ٤٧.

(٣) نفسه، ١/ ٥١.



رسول الله ﷺ فقال: «وبدأنا بولد عدنان، لأنهم الصريح من ولد إسماعيل الذبيح بن إبراهيم الخليل... ولأن محمدا رسول الله ﷺ سيد ولد آدم عليه السلام من عدنان. وابتدأنا من ولد عدنان بقريش لموضعه عليه السلام منهم، وابتدأنا من قريش بالأقرب فالأقرب منه عليه السلام...»(١).

وفي كتابه (الأخلاق والسير) حث على الاقتداء برسول الله ﷺ فقال: «من أراد خير الآخرة وحكمة الدنيا وعدل السيرة والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها، واستحقاق الفضائل بأسرها، فليقتد بمحمد رسول الله ﷺ، وليستعمل أخلاقه وسيره ما أمكنه، أعاننا الله على الاتساء به بمنّه آمين آمين»(٢).

وفي كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل) عد سيرة رسول الله ﷺ دليلا من الأدلة الساطعة والكافية على ثبوت نبوته، فقال: «إن سيرة محمد ﷺ لمن تدبّرها، تقتضي تصديقه ضرورة، وتشهد له بأنه رسول الله ﷺ حقا. فلو لم تكن له معجزة غير سيرته ﷺ لكفى»(٣).

وفي هذا الكتاب أيضا، دافع عن عصمة النبي ﷺ وإخوانه الأنبياء

---

(١) جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص٦.

(٢) الأخلاق والسير، ابن حزم، ص٢٣.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ٤/ ٩٠.

عليهم السلام. فبيّن في البداية أن الناس مختلفون في هذه المسألة ومنقسمون فيها إلى ثلاثة طوائف[1]:

- **الطائفة الأولى**: ذهبت إلى أن رسل الله يعصون الله في جميع الكبائر والصغائر عمدا حاشا الكذب في التبليغ، ومنهم من جوّز عليهم الكذب في التبليغ أيضا.

- **الطائفة الثانية**: ذهبت إلى أن الرسل عليهم السلام لا يجوز عليهم كبيرة من الكبائر أصلا، وجوّزوا عليهم الصغائر بالعمد.

- **الطائفة الثالثة**: ذهبت إلى أنه لا يجوز ألبتة أن يقع من نبي أصلا معصية بعمد، لا صغيرة ولا كبيرة.

وقد تبنّى ابن حزم رأي الطائفة الثالثة[2]، ثم ذكر حجج الطائفة الأولى؛ وهي عبارة عن آيات قرآنية وأخبار موضوعها حياة الأنبياء عليهم السلام، آدم فمن بعده[3]. إلى أن ذكر حججهم المتعلقة بسيرة الرسول ﷺ. وأهمها: قصة عبس وتولى، وقصة الغرانيق، وتأخر الوحي بسبب عدم تقديم النبي ﷺ المشيئة،

---

(١) نفسه، ٤/ ٢- ٣.

(٢) نفسه، ٤/ ٢- ٣.

(٣) نفسه، ٣- ٢١.



وقصة زينب بنت جحش، وقبوله ﷺ الفداء في أسارى بدر، وقوله ﵇ أنه لو كان مكان النبي يوسف ﵇ لأجاب الداعي الذي دعاه للخروج من السجن، وسهوه ﷺ في الصلاة، وما زعمه بعضهم من شكّه في الوحي[1].

ولم يفته أن يفنّد حجج هذه الطائفة بالبراهين الضرورية الواضحة، وكمثال على ذلك قوله في رد قصة الغرانيق: «وأما الحديث الذي فيه (وأنهن الغرانيق العلى وأن شفاعتهن لترتجى)، فكذبٌ بحتٌ موضوعٌ؛ لأنه لم يصح قط من طريق النقل، ولا معنى للاشتغال به، إذ وضع الكذب لا يعجز عنه أحد. وأما قوله تعالى: ﴿**وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ**﴾[2] الآية، فلا حجة لهم فيها؛ لأن الأماني الواقعة في النفس لا معنى لها. وقد تمنّى النبي ﷺ إسلام عمّه أبي طالب، ولم يرد الله ﷻ كون ذلك. فهذه الأماني التي ذكرها الله ﷻ لا سواها، وحاشا لله أن يتمنى نبي معصية، وبالله التوفيق... »[3].

وتجدر الإشارة إلى أن ابن حزم ﵀ لم يكن يدخر وسعا في نصرة دين

(١) نفسه، ٢١- ٣١.

(٢) الحج/ ٥٢.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ٤/ ٢٣.

الإسلام والذب عن النبي عليه الصلاة والسلام، وذلك بشتى الوسائل المتاحة لديه آنذك، سواء بلسانه وفهمه أو بقلمه وبيانه وعلمه. وقد عايش جزءا من الفترة التي تطاول فيها أهل الكتاب على المسلمين بالأندلس وخيانتهم للعهد، وفي مقدمتهم ابن النغريلَّة اليهودي، الذي وصل إلى منصب الوزارة في غرناطة أيام حاكمها حبوس وابنه باديس، واستغل تسامح المسلمين فألف كتابا نال فيه من القرآن ومن الرسول عليه الصلاة والسلام[1]. ولمّا علم ابن حزم بخبره، أخذ يبحث عن كتابه للرد عليه، ولم يهدأ له بال حتى عثر على نسخة رد فيها عليه رجل مسلم غيور على دينه، فنسخ الفصول التي نقلها ذلك المسلم من كتاب ابن النغريلَّة، وشرع في الرد عليه في رسالة قال في مقدمتها: أن من تقلّى قلبه للعداوة للإسلام وأهله، وذُوّبت كبده ببغضه الرسول ﷺ من اليهود، قد أطلق لسانَه وأرخى عنانه، وأطغى توافر الذهب والفضة عنده همّته، فألّف كتابا قصد فيه – بزعمه – إلى إبانة تناقض كلام الله ﷻ في القرآن، اغترارا بالله تعالى أولا، ثم بملكٍ ضعفةٍ ثانيا، واستخفافا بأهل الدين والرياسة[2]. ثم قال: «فلـمّا اتصل بي

(١) الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس، خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، الصفحات: ٢٠-٢١، ١٠٦-١٠٧، ٢٢٩-٢٣٩.

(٢) رسائل ابن حزم الأندلسي، ٣/ ٤٢-٤٣.



أمر هذا... لم أزل باحثا عن ذلك الكتاب الخسيس لأقوم فيه بما أقدرني الله ﷻ عليه من نصر دينه بلساني وفهمي، والذب عن ملّته ببياني وعلمي، إذ قد عدمَها، والمشتكى إلى الله ﷻ؛ ووجود الأعوان والأنصار على توفية هذا... حقّه الواجب عليه، من سفك الدماء واستيفاء ماله وسبي نسائه وولده، لتقدمه طَوْرَهُ وخَلْعِه الصَّغار عن عنقه، وبراءته من الذمة الحاقنة دمه، المانعة من ماله وأهله، وحسبنا الله ونعم الوكيل. فأظفرني القدر بنسخة رد فيها عليه رجل من المسلمين، فانتسخت الفصول التي ذكرها ذلك الراد عن هذا... وبادرت إلى بطلان ظنونه الفاسدة، بحول الله وقوته...»[1].

وبعد أن ذكر ابن حزم بعضا من السمات الشخصية لابن النغريلَّة اليهودي وسبب تأليفه لهذه الرسالة التي رد فيها عليه، أخذ يفنّد شبهاته الواحدة بعد الأخرى، ومنها قوله بأن خطاب الله ﷻ لرسوله ﷺ في الآية ٩٤ من سورة يونس[2]، يعني أنه كان في شك مما ادعاه. فرد عليه ابن حزم بقوله: «ولْيَعْلَم أن (إن) في هذه الآية ليست التي بمعنى الشرط؛ لأن من المحال العظيم الذي لا

---

(١) رسائل ابن حزم الأندلسي، ٣/ ٤٢-٤٣.

(٢) فيها يقول الله ﷻ: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾.

يتمثل في فهم من له مسكة، أن يكون إنسان يدعو إلى دين يقاتل عليه وينازع فيه أهل الأرض، ويدين به أهل البلاد العظيمة، ثم يقول لهم: إني في شك مما أقاتلكم عليه أيها المخالفون، ولست على يقين مما أدعوكم إليه وأحققه لكم أيها التابعون... وإنما معنى (إن) هاهنا: الجحد، فهي هنا بمعنى (ما). وهذا المعنى هو أحد موضوعاتها في اللغة العربية، كما قال تعالى آمرا نبيه ﷺ أن يقول: ﴿**إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[1]، بمعنى: ما أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون... فعلى هذا المعنى خاطب نبيه ﷺ: ﴿**فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ**﴾[2]. ثم قال تعالى: ﴿**فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ**﴾[3]، بمعنى: ولا أعداؤك الذين يقاتلونك من الذين أوتوا الكتاب من قبلك، ما هم أيضا في شك مما أنزلنا إليك، بل هم موقنون بصحة قولك، وإنك نبي حق، رسول الله ﷺ، لا شك عندهم في أن الذي جاءك الحق...»[4].

والحقيقة أن الإساءة إلى الرسول ﷺ والقرآن والإسلام، لم تصدر من

---

(١) الأعراف/ ١٨٨.

(٢) يونس/ ٩٤.

(٣) يونس/ ٩٤.

(٤) رسائل ابن حزم الأندلسي، ٣/ ٥٣.



ابن النغريلَّة اليهودي فحسب، بل حتى من بعض نصارى الأندلس وبشكل علني وعبارات قبيحة وسب وشتم فظيع.

ففي أواخر أيام الأمير عبد الرحمن الثاني (٢٠٩ - ٢٣٨هـ)، أثار نصارى الأندلس فتنة في قرطبة ما بين سنتي ٢٣٦هـ و٢٤٦هـ، عُرفت في التاريخ باسم (حُمّى الاستشهاد). إذ لجأ قسيس من قرطبة اسمه إيولوجيوس إلى تحريض من له تأثير عليهم على تقديم أنفسهم ضحايا ليفوزوا بالشهادة ويصبحوا قديسين. فخرج في سنة ٢٣٥هـ راهب يُدعى بيرفكتوس إلى السوق في قرطبة - وكانت آنذاك عاصمة دولة الأندلس المسلمة - وجعل يصبّ وابلا من الشتائم على النبي ﷺ، وزعم أنه دجّال ومولع بالجنس. فأُلقي به في السجن وأُعدم يوم عيد الفطر، فجعله أسقف قرطبة ورهبانها قديسا، ونسبوا إليه المعجزات. وبعد أيام، جاء قسيس اسمه إسحاق أمام القاضي مدّعيا أنه يريد اعتناق الإسلام، ثم أخذ يشتم الرسول ﷺ والإسلام. فضبط القاضي نفسه وكظم غيظه وحاول نصحه وإرجاعه عن غيّه فلم يفلح، واضطر عند ذلك إلى لفظ الحكم بإعدامه، فاعتبرته الكنيسة قديسا. ولم تمض إلا أيام قلائل على إعدام إسحاق حتى ثارت ثائرة الجنون بين عدد من المسيحيين، فقاموا بدورهم بالتهجم على الرسول ﷺ واستمروا على ذلك. ولم تتوقف حمّى الإساءة إليه ﷺ، إلا حينما أمر الأمير

محمد (٢٣٨- ٢٧٨هـ) بإعدام إيولوجيوس، وحينما بلغ عدد المتعصبين الذين أعدمتهم السلطة المسلمة نحو الخمسين. وقد سجل المؤرخون بعد ذلك، حادثتين منفصلتين من هذا النوع، وقعت إحداهما في سنة ٢٨٠هـ[1].

ومثل هذا التعدي السافر على حرمة الرسول ﷺ، هو ما دفع ابن حزم – ربما – إلى الحديث في (المحلى)[2] عن حكم من سب رسول الله ﷺ، لأنه – أولا – كان قريب عهد بهذه الأحداث، ولأنه – ثانيا – قد عايش أحداثا شبيهة بها.

وقد تصدى للدفاع عن الرسول ﷺ وعن المقدسات الإسلامية في الأندلس بعد ابن حزم، ثلة من العلماء الأفذاذ، منهم: أبو الوليد الباجي (ت ٤٧٤هـ) وأحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة الخزرجي (ت٥٨٢هـ) والقرطبي (القرن السابع الهجري).

- بالنسبة لأبي الوليد الباجي، فقد كتب ردا على رسالة بعث بها راهب

(١) محنة العرب في الأندلس، أسعد حومد، الصفحات ١٨١-١٨٢ و١٩٠-١٩١؛ والدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد، ص١٦٤-١٦٧؛ وسيرة النبي محمد، كارين أرمسترونج، ص٣٢-٣٧.

(٢) المحلى، ابن حزم، ١١/ ٤٠٩-٤١٨.

فرنسي إلى المقتدر بالله حاكم سرقسطة يدعوه فيها للنصرانية، قال فيه: «ولما تكررت علينا رسائلك ووسائلك، تعيّنت علينا مفاوضتك فيما رضيناه من مسألتك ومعارضتك فيما اخترناه من منهجك في النصح الذي يجري إليه الفضل، وأمرنا الله به على ألسنة الرسل. وكففنا عن معارضتك ما استقبحناه من خطابك، وسخطنا من كتابك، وسب الرسل الكرام والأنبياء المعظمين عليهم السلام»[(١)].

- وبالنسبة لأحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة الخزرجي دفين فاس[(٢)]، فقد رد على شبهات قسيس قوطي بطليطلة، في كتاب له سماه (مقامع الصلبان في الرد على عبدة الأوثان أو مقامع هامات الصلبان ورواتع روضات الإيمان)[(٣)]. وفيه ذكر أهم مطاعن الأساقفة في الإسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام، ووصفها بأنها أكاذيب. ومن هذه الأكاذيب: أنهم ادعوا أن محمدا ﷺ كان يقول لقومه إنه لن يموت ولكنه سيُرفع إلى السماء، فلما مات تركوه يومين حتى

---

(١) رسالة راهب فرنسا ورد أبي الوليد الباجي عليها، ص٦٥ (نقلا عن كتاب «الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب» لخالد السيوطي، ص٨٧-٨٨).

(٢) ذكر ابن القاضي ترجمته في (جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، ١/ ١٤١)، وقال بأنه من أهل قرطبة وسكن غرناطة وقتا ونزل بجاية، وكُفّ بصره في آخر عمره وتوفي بمدينة فاس سنة ٥٨٢هـ، ومولده سنة ٥١٩هـ.

(٣) بين الإسلام والمسيحية: كتاب أبي عبيدة الخزرجي، تحقيق محمد شامة، ص٤١.

نتن، ثم دفنوه؛ وأنهم تعمدوا نفي معجزاته ولم يذكروا منها شيئا إلا خبر أم معبد وخبر الذئب. إضافة إلى طعنهم في نظم القرآن الكريم وإعجازه الـذي لا يشـك فيه إنسان، وجحدهم ما فيه من الإخبار عن المعجزات وعـن الغيـوب[1]. ومـن شبه هذا القسيس التي رد عليها الخزرجي، قوله: أن كثيرا من الأساقفة قد ألفوا كتبا تطعن في الإسلام، وأنهم ذكروا الرسول ﷺ وحيله، ورأوا أنه لا فائـدة في الشريعة الإسلامية[2]. فرد الخزرجي عليه قائلا: «وأنا أذكر لك الآن مـا يوضـح لك كذبهم على سيد الأولين والآخرين، وأكتفي بذكر القليل عن التطويل...»[3]. ثم شرع في تفنيد ما زعمته النصارى من أن النبي ﷺ قد ادعى بأنه لن يموت، معتمـدا أدلـة قرآنيـة وحديثيـة تؤكـد أن جميـع البشر بـما فـيهم النبي ﷺ سيموتون، وأنه قد انتقل إلى جوار ربه بالفعل[4].

- وبالنسبة للقرطبي[5]، فقد ألف كتابا سماه (الإعلام بما في دين النصـارى

(١) نفسه، ص١٨٨-١٨٩.

(٢) نفسه، ص٧٨.

(٣) نفسه، ص١٨٩.

(٤) نفسه، ص١٨٩-١٩٠.

(٥) يشير بروكلمان في (تاريخ الأدب العربي) إلى أن القرطبي الذي ألف كتـاب (الإعـلام...)، هو القرطبي مفسر القرآن والمتوفى سنة ٦٧١هـ، وأنه مكتـوب ضـد رسـالة مـن رسـائل=

من الفساد والأوهام، وإظهار محاسن دين الإسلام، وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام)، رد فيه على كتاب وقف عليه، منسوب لنصراني بعث به من طليطلة، سماه (تثليث الوحدانية) وتعرض فيه للديانة الإسلامية[1].

أما في المغرب الأقصى، فقد ألف القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) كتابا في التعريف بحقوق المصطفى ﷺ، سماه (الشفا).

قال عنه ابن فرحون في (الديباج) أنه: «أبدع فيه كل الإبداع، وسلّم له أكفاؤه كفايته فيه، ولم ينازعه أحد في الانفراد به، ولا أنكروا مزية السبق إليه. بل تشوّفوا للوقوف عليه، وأنصفوا في الاستفادة منه، وحمله الناس عنه، وطارت نسخه شرقا وغربا»[2]. وحاول الدكتور أحمد جمال العمري أن يبيّن أهمية هذا

=طليطلة. بينما يرى صاحب كتاب (الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس)، أنه يصعب تأكيد صحة نسبة أو عدم نسبة هذا الكتاب له. انظر: الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس لخالد السيوطي، ص٨٩-٩١.

(١) انظر: الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس، خالد السيوطي، ص٨٧-٩٠.

(٢) الديباج المذهب، ابن فرحون، ٢/ ٤٩، ورغم ذلك لم يسلم الكتاب من النقد فهذا الحافظ الذهبي يقول فيه «لولا ما قد حشاه بالأحاديث المفتعلة، عمل إمام لا نقد له في فن الحديث ولا ذوق، والله يثيبه على حسن قصده، وينفع ب «شفائه»، وقد فعل، وكذا فيه من التأويلات البعيدة ألوان، ونبينا صلوات الله عليه وسلامه غني بمدحة التنزيل عن=

الكتاب وأين يتجلى فيه إبداع القاضي عياض، فقال: «لقد وجدت أن الرجل يتخذ الجانب التاريخي محورا، ولم يجعل الأحداث المتصلة بالدعوة الإسلامية متكأ. بل أخذ ينظر في القرآن الكريم وفي السنة المشرفة، ويستخرج منها عناصر السيرة النبوية وما يتصل بالرسول الكريم ﷺ وشخصيته ومكانته عند الله والناس. وتلك كانت دراسة رائدة وطريقة متفردة»[1]. وقال كذلك: «السيرة النبوية في مفهومه وعقله، ليست مجرد سرد للحوادث، وإنما هي تفسير هذه الحوادث، واهتداء إلى الروابط الظاهرة والخفية التي تجمع بين شتاتها، وتجعل منها وحدة متماسكة الحلقات متفاعلة الجزئيات»[2].

وعن سبب تصنيف (الشفا)، قال القاضي عياض في مقدمته، أنه جاء تلبية لمن طلب منه تأليف مجموع يتضمّن التعريف بقدر المصطفى عليه الصلاة والسلام، وما يجب له من توقير وإكرام، وما حُكم من لم يُوفّ واجب عظيم

=الأحاديث، وبما تواتر من الأخبار عن الآحاد، وبالآحاد النظيفة الأسانيد عن الواهيات، فلماذا يا قوم نتشبع بالموضوعات، فيتطرق إلينا مقال ذوي الغل والحسد، ولكن من لا يعلم معذور»، ينظر سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٢١٦).

(١) السيرة النبوية في مفهوم القاضي عياض، أحمد جمال العمري، ص٩.

(٢) نفسه، ص٤٩٨.



ذلك القـدر، أو قصّرـ في حـق منصـبه الجليـل قُلامـة ظُفـر؛ وأن يجمـع لـه مـا لأسلافهم وأئمتهم في ذلك من مقال، ويُبيِّنه بتنزيل صور وأمثال[1].

وقد قسّم القاضي عياض كتابه هذا إلى أربعة أقسام رئيسة، وكل قسم منها يضم مجموعة من الأبواب والفصول[2]:

- **القسم الأول**: في تعظيم العـلي الأعـلى لقـدر هـذا النبـي قـولا وفعـلا، وتوجّه الكلام فيه في أربعة أبواب.

- **القسم الثاني**: فيما يجب على الأنام من حقوقـه عليـه الصـلاة والسـلام، ويترتّب القول فيه في أربعة أبواب.

- **القسم الثالث**: فيما يستحيل في حقه، وما يجوز عليه شرعـا، ومـا يمتنـع ويصح من الأمور البشرية أن يضاف إليه.

وحسب تعبيره، فإن (القسم الثالث) بالنسبة إليه، هو سرّ الكتاب، ولباب ثمرة هذه الأبواب. وما قبله، له كالقواعد والتمهيدات والدلائل عـلى مـا أورده فيه من النّكت البيّنات. وهو الحاكم عـلى مـا بعـده، والمُنجـز مـن غـرض هـذا

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، ١/ ١١-١٢.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، ١/ ١٣-١٤.

التأليف وَعْده[1].

ويبدو أن القاضي عياضا كان موفقا في المنهج الذي تبنّاه والتزمه، ولهذا قال الدكتور أحمد جمال العمري: «ولقد كان الرجل أمينا ودقيقا في تحديد مساره العلمي، حيث حدّد غرضه من تأليفه في (بيان ما يجوز وما لا يجوز في حّقّه ﷺ، وهو موضوع (الباب الثالث) من الكتاب، وما قبله من فصول جعله تمهيدا أو تقديما لهذا الباب»[2]. وقال أيضا: ونظرة فاحصة في خطة كتابه، نجد ما يلي:

١) أنه خصص (القسم الأول) لدراسة شخصية الرسول ﷺ كما رسمها القرآن الكريم، وحدّد معالمها الحق تبارك وتعالى رب العالمين.

٢) أنه خصص (القسم الثاني) لدراسة حقوق الرسول ﷺ من قِبَل المسلمين.

٣) أنه خصص (القسم الثالث) لدراسة شخصية الرسول ﷺ من جانبين: من جانب النبوة ومن الجانب الإنساني.

٤) أنه خصص (القسم الرابع) لإبراز موقف الشريعة من العداوة للرسول ﷺ.

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، ١/ ١٤.

(٢) السيرة النبوية في مفهوم القاضي عياض، أحمد جمال العمري، ص٥١٦.

ثم تساءل قائلا[1]: ولماذا يا ترى كان الموضوع الأساسي في (الشفا)، هو بيان ما يجوز وما لا يجوز في حق الرسول ﷺ؟

لأن قضية العصمة – كما قال – كانت هي أهم قضية شغلت الفكر الإسلامي في ذلك العصر وقبله، وكانت تحتاج إلى لون من المناقشة الموضوعية لإبراز كنهها وما يتصل بها[2]. ولأن القاضي عياضا إنما ركز على موضوع العصمة، لأن المغرب العربي قد ابتلي بمن ادعاها، وذلك في حياته هو نفسه[3]. فقد ادعاها – آنذاك – المهدي بن تومرت الموحدي (ت ٥٢٤هـ)، وخالف بذلك عقيدة المغاربة السنية التي يدين بها القاضي عياض، والتي تقرر فيما تقرر، أن لا عصمة لأحد من الناس غير الأنبياء، أضف إلى ذلك ما كانت تستلزمه قضية العصمة من مظاهر التشيع[4].

ولكي يثبت القاضي عياض عصمة الرسول ﷺ، لجأ إلى رد أدلة من جوزوا صدور الصغائر من الأنبياء عن طريق تأويلها أو توهينها، فنتج عن ذلك

(١) السيرة النبوية في مفهوم القاضي عياض، أحمد جمال العمري، ص٥١٦.

(٢) نفسه، ص٥١٦-٥١٧.

(٣) نفسه، ص٥٢١.

(٤) نفسه، ص٦٥-٦٧.

اصطباغ (الشفا) بالطابع الجدلي القائم على المناقشة وتوجيه الآراء. ولهذا نجده يورد نقاط الخلاف ويتعقبها واحدة بعد أخرى، محللا ومفندا ادعاءات المخالفين، ادعاء بعد ادعاء؛ كما نراه يحاصرهم من كل جهة بحججه النقلية والعقلية[1].

ومما يجب التنبيه إليه كذلك، هو أن القاضي عياضا رحمه الله حينما كان يثبت العصمة للرسل وفي مقدمتهم المصطفى ﷺ، فكأنه كان يلمح إلى نفيها عن غيرهم. ومن المحتمل أن يكون رأى تطاول بعض الناس على الرسل واجتراءهم عليهم، فكتب كتابه هذا؛ ولذلك نجده يطيل القول في حكم من نال من الرسول ﷺ بأي شكل من الأشكال[2].

بقي أن نشير في الأخير – ولو باختصار شديد – إلى علم آخر من أعلام المغرب في القرن الحادي عشر الهجري ممن دافعوا عن رسول الله ﷺ، هو أحمد بن قاسم الحجري أفوقاي المورسكي الأندلسي، الذي هاجر من إسبانيا إلى المغرب الأقصى فرارا بدينه. فقد ألف كتابا سماه (رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب)، ثم اختصره في كتاب آخر سماه (ناصر الدين على القوم الكافرين).

(١) نفسه، الصفحات٥١٦-٥١٧، ٥٢٢.

(٢) السيرة النبوية في مفهوم القاضي عياض، أحمد جمال العمري، ص٥٢١-٥٢٢.



وفيه يذكر ما وقع له من الكلام والمناظرات مع اليهود والنصارى في فرنسا وهولندا، وذلك أثناء سفارته عن السلطان زيدان إلى هذين البلدين. ومما جاء في (الباب التاسع) من كتابه (ناصر الدين على القوم الكافرين)، مناقشة دارت بينه وبين أحد القضاة الفرنسيين في مدينة (بوردو) بفرنسا حول بعض الأكاذيب التي افتراها أعداء الإسلام على الرسول ﷺ، رواها على الشكل التالي فقال: «وقد وقع كلام مثل هذا في مدينة برضيوس مع القاضي المسمى فَيّرضِ... وقال لي: يا فلان، تعجّبتُ منك كيف أنت على دين المسلمين؟ قلت له: لماذا؟ قال: لأن عندنا في كتبنا أن المسلمين يزورون مكة ليروا نبيهم في الهواء في وسط حلقة حديد في الهواء، لأن الحلقة في الهواء في وسط قبّة حجر المغناطيس، والمعروف منه أنه يجذب الحديد، والجذب في القبّة على حدّ سواء من كل جهة، وتبقى الحلقة في الهواء بنبيّكم، والمسلمون يعتقدون أن ذلك معجزة لنبيّهم. قلت له: هل يجوز في دينكم لأحد أن يكذب وإن كان بنية تقبيح دين غيره لتحسين دينه وتزيينه لأهل ملّته؟ قال: لا يجوز ذلك. قلت: النصارى الذين قالوا ذلك أذنبوا ذنبا كبيرا في دينكم. قال: كيف ذلك؟ قلت: لأن النبي ﷺ ليس هو بمكة، وليس هو في حلقة الحديد، بل هو مدفون في المدينة، وبينها وبين مكة عشرة أيام. والمسلمون يزورون الكعبة، لأنها دار مباركة، بناها سيدنا إبراهيم عليه السلام قال:

زُرتها أنت ورأيت قبر نبيّكم تحت الأرض؟ قلت له: لا، ولكن الذين مشوا عندنا يقولون ذلك من غير اختلاف، وهي مسألة لا شك فيها...»[1].

إلى هنا ننهي هذا الموضوع، وإن كنا نرى أننا لم نوفه حقه بالدراسة، وصلى الله على سيدنا محمد المبعوث بالمعجزات الواضحات، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

* * *

(١) ناصر الدين على القوم الكافرين، أحمد أفوقاي الحجري، ص٧٩-٨١.



قائمة المراجع

أولاً: القرآن الكريم، برواية حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي.

ثانياً: المصادر والمراجع.

(١) الأخلاق والسير، ابن حزم الأندلسي، بيروت: اللجنة الدولية لترجمة الروائع، ١٩٦١م.

(٢) بحوث في السيرة النبوية، سعيد المغناوي، فاس: مطبعة آنفوبرانت، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، القاهرة: دار هجر، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

(٤) بين الإسلام والمسيحية: كتاب أبي عبيدة الخزرجي، تحقيق وتعليق محمد عبد الغني شامة، وكتب مقدمته سنة ١٩٧٢م، مكتبة وهبة.

(٥) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، حسن إبراهيم حسن، بيروت،القاهرة: دار الجيل،مكتبة النهضة المصرية، ط١٣، ١٤١١هـ،١٩٩١م.

(٦) تقريب الصارم المسلول على شاتم الرسول لشيخ الإسلام ابن تيمية، صلاح الصاوي، العدد الأول من سلسلة تقريب التراث، دار الإعلام الدولي.

(٧) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

(٨) الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس، خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠١م.

(٩) جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، أحمد ابن القاضي المكناسي، الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، ١٩٧٣م.

(١٠) جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندلسي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٣م.

(١١) الحاوي للفتاوي، جلال الدين السيوطي، عني بنشره جماعة من طلاب العلم سنة ١٣٥٢هـ، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ،١٩٨٢م.

(١٢) الدعوة إلى الإسلام، أرنولد توماس، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، ط٣، ١٩٧٠م.

(١٣) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون المالكي، تحقيق وتعليق محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة: دار التراث، ١٩٧٢م.

(١٤) رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨١م.

(١٥) سنن أبي دود السجستاني، بيروت: دار ابن حزم، ط١، ١٤١٩هـ،١٩٩٨م.

(١٦) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، بيروت: دار الكتب العلمية.



(١٧) السيرة النبوية في مفهوم القاضي عياض، أحمد جمال العمري، القاهرة: دار المعارف، ط١، ١٩٨٨م.

(١٨) سيرة النبي محمد، كارين أرمسترونج، ترجمة فاطمة نصر ومحمد عناني، القاهرة: شركة سطور، ط٢، ١٩٩٨م.

(١٩) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض السبتي، تقديم كمال بسيوني زغلول المصري، بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

(٢٠) الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ، ابن تيمية، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

(٢١) صحيح البخاري، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

(٢٢) صحيح مسلم، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، الرياض: بيت الأفكار الدولية، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

(٢٣) العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية، ابن عابدين، طبعة حجرية، بهامشها كتاب الفتاوى الخيرية لنفع البرية على مذهب الإمام أبي حنيفة.

(٢٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الأندلسي، دار الفكر، ١٩٨٠م.

(٢٥) الفصول في سيرة الرسول ﷺ، ابن كثير، تحقيق محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين مستو

(٢٦) الفلك المشحون في أحوال محمد ابن طولون، محمد ابن طولون الصالحي الدمشقي، عنيت بنشره مكتبة القدسي والبُدير، دمشق: مطبعة الترقي.

(٢٧) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، عني بتصحيحه محمد شرف الدين يالتقيا ورفعت بليكة الكليسي، تقديم آية الله العظمى شهاب الدين النجفي المرعشي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

(٢٨) مجموعة رسائل ابن عابدين، نسخة مصورة إلكترونيا ومتاحة على شبكة الإنترنت، ونسختها الأصلية مطبوعة طبعة قديمة لم يشر فيها لدار النشر وتاريخه.

(٢٩) المحلى، ابن حزم الظاهري الأندلسي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع محنة العرب في الأندلس، أسعد حومد، بيروت: المؤسسة العربية، ط٢، ١٩٨٨م.

(٣٠) مغازي الواقدي، تحقيق مارسدن جونس، بيروت: عالم الكتب، دمشق،بيروت: دار ابن كثير،دار الكلم الطيب، ط١٤١٦،٧هـ،١٩٩٦م.

(٣١) ناصر الدين على القوم الكافرين، أحمد بن قاسم الحجري أفوقاي الأندلسي المورسكي، تحقيق محمد رزوق، الدر البيضاء: منشورات كلية الآداب، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

* * *

الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها (سنن)



هاتف : ٢٥٨٢٧٤٩ – ١ – ٠٠٩٦٦

فاكس: ٢٥٨٢٧٤٣ – ١ – ٠٠٩٦٦

المملكة العربية السعودية

ص . ب ٤٦٨١١ الرياض ١١٥٤٢

www.sunnah.org.sa
sunnah@sunnah.org.sa